



السيد السيستاني وزيارة رفسنجاني

Ayatollah Intrigue: Iraqi Snubs Iran

by Amir Taheri

أمير طاهري

محلل سياسي في جريدة نيويورك بوست



موقع فاميلي سيكيوريتي ماترز (قضايا أمن الأسرة)

Family Security Matters Website

11 مارس 2009

ترجمة: علي الحارس

شكرا لكم، ولكن لن نلبي الدعوة: هكذا كان جواب المرجع الديني السيد السيستاني على دعوة وُجّهت إليه لزيارة إيران. هذه الدعوة تسلمها السيد السيستاني في منزله في مدينة النجف من القيادة الإيرانية عبر مبعوثها الشيخ علي أكبر هاشمي رفسنجاني، الرئيس الإيراني الأسبق. وفي مؤتمر صحفي تلا لقاءه بالسيد السيستاني، لم يورد الزائر الإيراني أسباب الرفض، واكتفى بقوله أن السيد السيستاني «أعطى أسبابا مقنعة لرفض الدعوة».

إن هذه الحادثة ذات أهمية سياسية تنبع من عدة أسباب: أولها أن السيد السيستاني مواطن إيراني ولد في إيران ويحمل الجواز الإيراني. وبالرغم من أنه عاش في العراق منذ أول أيام شبابه فإنه كان يزور إيران مرة كل عام على الأقل، لكنه انقطع عن زيارتها بعد أن أمسك مجموعة من رجال الدين بقيادة الخميني مقاليد السلطة في طهران عام 1979، وفي ذلك فعل ينوب عن القول، فهو بذلك عبّر عن رفضه للنظام الذي أنشأه الخميني، وفي الواقع، هنالك ملايين الإيرانيين في المنفى ممن يرفضون زيارة وطنهم بسبب معارضتهم لهذا النظام.

السيد السيستاني وزيارة رفسنجاني

إن السيد السيستاني لا يمكنه أن يزور إيران دون لقاء الخامنئي. وهو رجل دين من الطبقة الوسطى تقدمه الحكومة بوصفه «المرشد الأعلى» للمسلمين في العالم. مما يستدعي الافتراض بأن السيد السيستاني يصادق على هذا الادعاء. وهو أمر يرفضه في الواقع. كما أن الخامنئي نفسه لا يمكنه أن يزور السيد السيستاني. لأنه سيعترف. إن فعل ذلك. بمنزلة السيد السيستاني مرجعا دينيا أعلى للمؤسسة الدينية الشيعية. كما إن هذه الزيارة. إن حصلت. ستكون حدثا سياسيا كبيرا. بلحاظ أن السيد السيستاني يتمتع بموقع المرجع الديني الأعلى للشريعة وأن له ملايين المقلدين على امتداد إيران.

عاش السيد السيستاني في الإقامة الجبرية في منزله في النجف منذ 1989. ولم يكن له إلا شيء يسير من الاتصال مع إيران حتى عام 2003 حينما قام التحالف الذي تقوده أمريكا بإسقاط نظام صدام حسين. فاستطاع السيد السيستاني بعدها أن يعيد افتتاح حوزته. ويحيي اتصالاته مع أوساط الشيعة خارج العراق. ويرسل وكلاءه لفتح مكاتب في جميع أنحاء إيران. فأصبح له ممثلون في أكثر من 800 موقع هناك. مما يجعله صاحب أكبر شبكة تمثيلية من بين جميع مراجع التقليد؛ وتشير تقديرات غير رسمية إلى أن هذه الشبكة تجمع حاليا الجزء الأكبر من الحقوق الشرعية في إيران. كما تقوم مكاتب الوكلاء بتمويل الآلاف من طلاب الحوزات والإنفاق على خدمات الإعالة الاجتماعية للفقراء والمحتاجين في كل من العراق وإيران.

ما الذي يفسر النجاح المدهش للسيد السيستاني؟ إن أول عناصر هذا النجاح هو أن معظم الشيعة ينظرون إلى السيد السيستاني باعتباره الوريث الروحي للمرجع الراحل السيد أبو القاسم الخوئي. آخر كبار مراجع الدين في القرن العشرين. يضاف إلى ذلك أن السيد السيستاني يمثل النسخة التقليدية الأكثر هدوءا من التشيع القائمة على الفصل بين الدين والدولة؛ فالتشيع التقليدي يرفض حكم رجال الدين. وهي نظرية طورها الخميني تحت عنوان «ولاية الفقيه». إن من يرون ذلك من الشيعة. وهم قد يشكلون الغالب الأعم. ويرغبون بتحقيق استقلال رجال الدين عن الدولة. يرنون بأبصارهم حاليا إلى النجف باعتبارها

السيد السيستاني وزيارة رفسنجاني

العاصمة الحقيقية لمذهبهم، وثمة الكثير ممن يعتبر النسخة الخمينية للتشيع التي تعتنقها طهران توجهها سياسيا وليست عقيدة دينية، وفي هذا السياق يكون مراجع الدين في النجف، والسيد السيستاني في مقدمتهم، ينظر إليهم على أنهم حماة العقيدة ضد هؤلاء الذين يرغبون بتحويلها إلى أيديولوجيا معادية للغرب والحدثة والديمقراطية.

لقد تعجب بعض المراقبين من قبول السيد السيستاني طلب رفسنجاني لزيارته، ورفضه طلبا مماثلا للرئيس الإيراني محمود أحمدني نجاد خلال زيارة الأخير إلى العراق العام الماضي؛ وحول ذلك يقدم مقربون من السيد السيستاني تفسيراً بأن ما حصل كان «لدواعي البروتوكول»: فلو تمت الزيارة في القنصلية الإيرانية في النجف لكانت اعتبرت اعترافاً بتفوق المنزلة السياسية على الشرعية الدينية؛ وإن كانت حصلت في منزل السيد السيستاني لكانت اعترافاً بتفوق منزلة السيد السيستاني كمرجع ديني على الرئاسة الإيرانية، وهو أمر يؤدي إلى إغضاب الخامنئي في طهران. أما زيارة رفسنجاني فقد كانت متاحة لأنه لا يتحفظ على أن يعامل كأبي «مؤمن» آخر يرغب برؤية السيد السيستاني، وهو بزيارته تلك أصبح الشخصية الأعلى ضمن هرم النظام الإيراني ممن يقدم احترامه للسيد السيستاني واعترافه بموقعه كمرجع ديني أعلى للشيعة، وهذا الأمر ذو أهمية تنبع من أن رفسنجاني يتبوأ منصب رئيس مجلس الخبراء، وهو هيئة تتكون من 92 رجل دين يملكون سلطة رفض قرارات «المرشد الأعلى» في طهران.

مع تصاعد حدة الصراع على السلطة في إيران، تتجه مجريات الأمور في النجف نحو تشجيع الدعوات الإيرانية المطالبة بتنحية «المرشد الأعلى» والعودة إلى التشيع التقليدي الذي يوفر مساحة كافية تفصل ما بين الدين والدولة، وهو واقع الأمر في العراق الذي يستمر السيد السيستاني بأداء دور أساسي فيه، وربما تكون زيارة رفسنجاني قد أفرزت السؤال التالي: إذا كانت التجربة نجحت في العراق، فهل يمكن لها أن تنجح في إيران أيضاً؟